كانوا ينتظرون نفس ما تمنيهم بهِ انت اليوم لبقوا في موطنهم ساكنين ساكتين. بل متقهقرين بين المتمدنين المُحبين. فانظر بعد هذا حرسك الله المتعال. كيف ان كلامك لا يصوّر حقيقة الحال. ولا يُرى فيهِ مثقال ذرَّةٍ من صدق المقال

واماً ما بقي من كلامك المذكور فالشواهد الحاضرة تُفنّد احسن تفنيدٍ ما تقول. وهي اصدق لسانٍ ناطقٍ بهذا الموضوع الجليل الفروع والاصول

مار سهدونا : ترجمته وتآليفهُ

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

لم نكن نعرف قبل الآن الّا النزر القليل عن هـذا الاب القديس سهدونا او مرطوريس (١ الذي ظهر كالكوكب اللامع في ظلمات الهرطقة النسطوريّة ببلادنا في مبادئ الجيل السابع حتى وُجدت تآليفهُ في هـذه الأيام ونُشرت بالطبع لاول مرّة على يد الكاهن الغيور العالم ذي الايادي البيضاء على آداب اللغـة الكلدانية بولس بيجان الكلداني الفارسي سليل الرهبنة العازاريّة المحترم (٢ . فمن تآليفهِ هذه ومما وصل الينا عنهُ من المؤرخين النساطرة كتوما المرجي في كتاب الرؤساء ويشوعدناح في كتاب العفّة ورسائل يشوعياب الحزي امكن الكاهن المذكور ان يسطّر في فاتحة كتابه ترجمة حياته ويكسبنا اباً جديداً وقديساً جليلاً وكاتباً نحريراً كانت الاغراض النسطوريّة قد نجست حقّهُ وطمست محاسنهُ والبستهُ ثوب الخيانة لكونهِ نبذ هرطقتهم وتدين بالايمان الكاثوليكي الاغرّ . فاحببنا ان نتحف قرّاء المشرق بلمعة من سيرته وتآليفه لما فيهـا من الامور الغريبة

ولد سهدونا في هلمون قرية من ابرشية بيت نوهدرا وهي اليوم ابرشيـة دهوك

---

١) سهدونا بالكلدانيّة الشهيد الصغير . يوافقهُ باليونانيّة مرتيريوس او مرطوريس

٢) ممممممم وهذه مؤلفاته ٥٥ ممممم

S. Martyrii qui et Sahdona quae supersunt omnia: edidit Paulus Bedjan Congr. Miss., Parisiis, via dicta de Sèvres, 95, Otto Harrasowitz, Lipsiae 1902.

وزاخو. ودهوك تبعد مرحلتين عن الموصل في غربيّها. وكانت امّهُ اليفة لامرأةٍ قديسة اسمها شيرين يذكرها صاحب الترجمة ويكثر من الثناء على تقواها ونسكها وفضائلها فكانت امُّ سهدونا تتردّد عليها وتأخذ عنها. فترعرع الفتى محبوبًا على حب التقوى ووالدتهُ تبجن في قلبه منذ نعومة اظفاره رغبة العيشة الرهبانية وهي تكرر عليهِ مرارًا: يا بنيَّ ان الموت احب اليَّ من ان اراك مستأسرًا لحب العالم كباقي الناس »

وكانت مدرسة نصيبين يومئذٍ زاهرةً فقصدها سهدونا واكبَّ فيها على درس العلوم باجتهاد. ولا يبعد ان يكون هناك قد بدا فيهِ الميل الى الايمان الكاثوليكي في اثناء النهضة التي احدثها فيها حنّانا الحديابي معلم تلك المدرسة في اواخر الجيل السادس عندما نبذ تفاسير ثيودورس المصيصي النسطوريّة واعتمد على يوحنا فم الذهب في شرح الكتب المقدسة مجهرًا بالقول بالاقنوم الواحد. وتبعهُ في ذلك زمرة من علماء النساطرة منهم يوسف الحزي واسحق النينوي واشعيا الطحالي ويوحنا سابا الدلياتي وغيرهم (١ وقيل انَّ منهم ايضًا البطريرك يشوعياب الجذالي الذي كان سهدونا قد رافقهُ في سفارته الى الملك هرقل فان النساطرة ادّعوا عليهِ بانهُ لو لم يحرم نسطور لَما اجاز لهُ الروم ان يقدس الاسرار الالهية في كنيستهم (٢

---

١) الّا ان هؤلاء كلهم ماتوا في الكنيسة النسطوريّة ولم يحذوا حذو سهدونا الذي صار كاثوليكيًّا بالقول والفعل كما سترى

٢) ويوافق هذا الادعاء ما يقصّهُ عمرو بن متى (او هو القس صليبا الموصلي) في ترجمة هذا البطريرك قال: لمَّا حضر يشوعياب لدى هرقل اعجبهُ فضلهُ وحسن ديانته فرغب اليهِ ان يكتب لهُ الامانة بحسب ما يعتقد هو والمشارقة اهل مذهبهِ فكتب لهُ الامانة: « نؤمن بالثالوث الواحد المقدس المتساوي في الجوهر. . . فلمَّا كان في منتهى الزمان من اجلنا معشر البشريين ومن اجل خلاصنا واحدٌ من الاقانيم المقدسة ابن الله الكلمة. . . نزل من السماء وتجسّم وتانّس من روح القدس ومن مريم البتول القديسة حيث لم يتغيّر عن طبعه ولم ينقص عن مجده بل اتخذ لهُ طبيعة بشريَّة لظهور لاهوته ليس انسان شحيم (بسيط) كما يقول المراطقة حاشا وكلَّا. ولا نقول ايضًا الاه بلا جسد كما يقول المراسيس حاشا وكلَّا. بل هو الاه كامل ابن طبع ابيهِ بلاهوته وهو انسان كامل ابن طبيعتنا بناسوته شخصانية واحدة رب واحد باتحاد عجيب غير مدرك الذي لا يقبل تبلبلًا ولا تقسمًا وهو بلا امتزاج ولا انفصال من الابد الى الابد بالطبيعتين الحقيقيتين لاهوتية وناسوتية رب واحد ايشوع المسيح ابن الله اختار وتألم بالجسد فاماً بلاهوته فلم يدخل عليهِ تألم

فلمَّا اكمل سهدونا دروسه ترك نصيبين وجاء وانضوى الى مار يعقوب الذي كان قد هجر دير ابراهام على جبل الإزل وشيَّد دير بيت عابي الشهير في ابرشية المرج فقبلهُ ربَّان يعقوب والبسهُ الثوب الرهباني وعيَّنهُ معاونًا لقاميشوع المتوكل على عمارة الدير. ومن هناك استدعاه يشوعياب الجذالي البطريرك ليرافقهُ في بعثتهِ الى الملك هرقل سنة ٦٣٠ — قال توما المرجي(١ : لمَّا قام بالملك شيروي (او شيرويه) احب ان تستتبَّ الراحة في ملكه وان يبعد السجس والفتن والنهب وما احدثهُ ابوه كسرى من الاضرار. فاوعز الملك الى الجاثاليق (يشوعياب الجذالي) ان ينتخب من بلاد المشرق رجالًا مطارين واساقفة ويصعدوا الى بلاد الروم على نفقة الملك وباكرامه مع رسائل وسلام من الملك ليزيلوا النفور والعداوة الكائنة بين الفرس والروم ويزرعوا بفطنتهم السلام بين الناحيتين. فجمع يشوعياب طاعةً لامر الملك شيروي قرياقوسَ مطران نصيبين وبولس مطران حذياب وجبرائيل مطران كرخ بيت سلوخ (كركوك) واساقفةً رجالًا محنكين ذوي خبرة وفطنة وسافروا برفقة البطريرك ومعهم القديس يشوعياب اسقف نينوى وسهدونا. وهكذا بتوفيق المسيح الاهنا والاه العالمين ومدبّر الناحيتين والعالم اجمع نال هؤلاء الرعاة رحمةً في اعين الروم فاستقبلوهم ولبَّوا طلبهم كانهم ملائكة الله ورجعوا بسلام لهذه البلاد كل واحد الى كرسيه ». ورجع سهدونا الى ديره وهو كاثوليكي

وحدث انهم في رجوعهم عرَّجوا على مدينة افامية واقاموا فيها مدةً ليستريحوا من تعب الطريق وكان ثمَّة دير لرهبان ملكيين عليهم رئيس شيخ وقور فطلب سهدونا ان يراهُ ويتبرَّك منهُ فادخلوه عنده فوضع الشيخ يمينه على راس سهدونا فشاع عند النساطرة ان هذا الشيخ اذ كان ساحرًا قلب عقل سهدونا واجتذبه الى الهرطقة يريدون بذلك الكثلكة. والصحيح ان سهدونا لم يواجه ذاك الشيخ ويطلب التبرك منهُ الَّا لموافقتهِ معهُ في الايمان الكاثوليكي الذي كان قد ارتدَّ اليهِ من قبل

وهذا الواحد الرب ايشوع المسيح هكذا يُسجد ويمجد بالكمال والتمام مع ابيهِ وروح القدس الخ»
فلمَّا طالعها (هرقل) استحسنها وسألهُ ان يقدس فدخل المذبح ثلث دفعات وقدس وعاد الى كرسيه باكرام

١) كتاب الرؤساء طبعة بيجان (ص ٦٢)

وبعد رجوعه من تلك البعثة صنّف سهدونا كتابه في كمال العيشة النسكيّة واعرب فيهِ عن اعتقاده الكاثوليكي بصريح العبارة وكان عمرهُ اذ ذاك ثماني وعشرين سنة الّا ان هذا الكتاب بقي مخفيًا ولم يُعرف الّا بعد ارتقاء سهدونا الى اسقفيّة ماحوزة اربوان مدينة في مقاطعة باجومي. ولا تحدّث عمّا سبّب هذا الكتاب من الحقد على مؤلفه بين الاكليروس النسطوري حيث كان سهدونا في مكان عالٍ من الاعتبار لعلمهِ وفصاحتهِ وتقواهُ فان يشوعياب الحزّي صديقهُ الذي سعى بترقيته الى الاسقفيّة لم يدع وسيلةً الّا اتخذها ليرده الى المذهب النسطوري ولو اضفينا الى زعمهِ لَقُلنا أن سهدونا قد تزعزع مرارًا كثيرة وجحد رأيهُ ثماني مرات في المجمع. والمرجّح انهُ وعد فقط بعدم نشر كتابهِ وسمح مجاراةً لطلب اخصامه ان تُقطع منهُ الفصول الستة عشر الاولى وهكذا وصل الينا. الّا ان هذه الفصول المقطوعة التي يختصرها المؤلف في فاتحة القسم الثاني من كتابه ليس فيها شيء يدلّ على الكثلكة فلا نعلم ما كان الداعي لحذفها فلعلّ الغاية من ذلك تشويه الكتاب ومنع نشرهِ او يكون سهدونا تطرّق في تلك الفصول الى مدح الآباء الذين حرموا نسطور والله اعلم

ومنذ ذلك الحين ثار الاضطهاد على سهدونا من اصدقائه انفسهم فاضطرّ ان يترك كرسيه الاسقفي الذي انزلهُ عنهُ مار اماً البطريرك وانفرد في جبل وعاش فيهِ متوحدًا. الّا ان الخلوة لم توافق ما كان مفطورًا عليهِ من الغيرة الرسولية فتركها وسعى لدى الملك هرقل ان يُقام اسقفًا على الرها معلنًا بصحة ايمانه الكاثوليكي. غير ان الرهاويين الذين كانوا بعاقبة لم يكونوا ليقبلوا عليهم اسقفًا يعتقد بالطبيعتين فوشوا بسهدونا لدى الملك بانهُ نسطوري ونالوا عزلهُ فاعتزل في تلّ بقرب الرها وعاش هناك في مغارة حتى قضى فيها نحبهُ ولا نعلم سنة وفاتهِ. وربما حاول اصدقاؤه النساطرة ان يردّوه الى حظيرة الكنيسة النسطوريّة فلم ينجحوا. وقد اخبر جبرائيل التوريتي رئيس دير بيت عابي انهُ ذهب اليهِ في مغارته لكنهُ لم يقدر ان ينتصر على ثباته وان ادعى انهُ جادلهُ وغلبهُ

قال توما المرجي (ص ٥٣): «بعد ما تفقه سهدونا بتعاليم الكتب الالهيّة مليًا في نصيبين وتنوّر بها وبرع كثيرًا اقتبل اسكيم الرهبنة في هذا الدير من ايدي رَبّان يعقوب وخضع كما ينبغي لاعمال العيشة النسكيّة بالصوم والسهر والصلوة تحت ارشاد

معلمنا (يعقوب). ويُستدل من معاني تصانيفه التي وضعها في العيشة الرهبانية بانهُ شعر بعذوبة الممارسات التقوية التي لا تذوقهـا الَّا النفس المقتنعة. فانهُ كتب عن جميع مصاعب الحياة الرهبانية في مجلدين ولهُ ايضاً تعزيات ومقالات في شؤون شتى. وكتب ايضاً ترجمة معلمنا (رَبّان يعقوب) ومناقب الرهبان في بلاد المشرق وألف تأبيناً لمعلمنا يعقوب يوم دفنه الذي بدؤهُ: «لقد سقط منَّا اليوم بالموت رئيس عظيم يا احبائي» (قال): وكل من تصفح هذا الرثاء تحقَّق ما لسهدونا من متانة الكلام وبلاغة المعاني واتضح لهُ انهُ كان جبَّاراً بين المؤلفين لولا انهُ في الآخر ذل وخرج من عقله» يريد انهُ صار كاثوليكياً

فمن هذه التآليف لم يصل الينـا سوى كتابه في العيشة النسكيَّة وخمس رسالات وقليل من الحكم الدينيَّة في كتاب مخطوط بالخطّ السطرنجيلي يقرب ان يكون معاصراً لمؤلفه والكتاب وحيد لا يُعرف لهُ ثانٍ وقد وجد في جبل سينا واليوم دخل في مكتبة سترسبورج وهو ناقص من اوله ومن آخره

اما كتاب العيشة النسكيَّة فيقسم الى جزئين ويحتوي الجزء الاوَّل ٢٢ فصلاً لم يبقَ منها لنا سوى ستة والجزء الثاني كامل وفيهِ ١٤ فصلاً. ففي الجزء الاوَّل يتكلم سهدونا عن ماهية العيشة الرهبانيَّة وعن التجرد عن العالم والعيشة الاجتماعية والانفراديَّة وتجاربها. وفي الجزء الثـاني يتكلم عن الايمان والرجاء والمحبة والفقر والعفة والبتوليـة والصوم والاماتة والصلوة والفرض الالهي والقداس والشكر بعد المناولة والقراءة الروحية والسهر والتوبة والتواضع والطـاعة والصبر وحضور الله وما شاكل ذلك

وافضل الرسالات الخمس الرسالة الرابعة وهي اطولها وجَّهها سهدونا الى راهب كان قد نبذ نذوره ودخل العالم ففي هذا البحث العجيب يوضح سهدونا جمـال الدعوة الالهيَّة وقبح السقوط وفاعلية التوبة المكفرة عن كل ذنب والثقة بالله وخطر مقاومة النعمة وشيء كثير من النصائح النفيسة العمليَّة

ومن يقرأ هذا الكتاب يرَ ما كان عليهِ هذا الانسان من غزارة العلم والفصاحة فضلاً عن التقوى ولا نعرف لهُ شبيهاً بين الآباء في رشاقة الافكار وسبك العبارة سوى يوحنا فم الذهب. وتعاليمه صحيحة مستقيمة يستحق الذكر منها ١ً: الفصل الثاني من الجزء الثاني وهو احكم واجمل بحث جاء في الآداب السريانية عن سرّي الثـالوث

والتجسد الأقدسين. — ٢ رايهُ الصريح في الدينونة الخصوصيَّة وسعادة الابرار وهلاك الاشرار حالًا بعد انفصالهم عن الجسد. — ٣ التمييز بين الخطية المميتة والعرضية. — ٤ شرحهُ لذبيحة القداس. — ٥ اعتقاده برئاسة بطرس الرسول. — ٦ رايهُ في الزواج المعقود بعد النذور الرهبانيَّة وانهُ لا يصح. وبالاجمال براهينه قويَّة وكلامه سديد موسوم بطلاوةٍ من شأنها ان تقنع القارئ على ممارسة الفضيلة التي يشرحها. فجزى الله خيرًا ناشر هذا الكتاب واجزل ثوابه على ما يتكبده من الأتعاب فانهُ لم يملّ منذ سبع عشرة سنة من ان يتحف بني جلدته بنفائس كهذه خدمةً للدين واللغة والتاريخ

الصومال والدِكْدِك

نبذة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

١ الصومال

من خليج تَجُرَه وقسم من ساحل البحر الهندي الى الجبال الشامخة القائمة عليها سهول هرر والحبشة تمتدّ صحاري واسعة فسيحة تُعرف ببلاد الصومال يستوي جزء صغير منها وسطح البحر علوًا ثم ترتفع دفعةً واحدة تقريبًا الى علوّ ٦٠٠ متر تتدرَّج بعدها بالارتفاع فتختلف نقطهـا بين ٦٠٠ و ١١٠٠ متر ويختلف حرّها على نحو اختلاف ارتفاعها. هذه الصحاري تُقسم الى اقسام وكل قسم منها يدعى باسم القبيلة التي تسكنهُ من ذلك صومال العيسى وصومال الهَبَرَوَل وصومال الكدابورسى وغير ذلك واهمُّها الثلاثة المذكورة. امَّا هذه البلاد واخصهـا العيسى فهي عبارة عن اكمات بركانيَّة الاصل سوداء قحطة محزنة يتخللها سهول رمليَّة محرقة يغطيها في فصل الامطار بساط من العشب الاخضر فيجعلها مراعي خصبة للمواشي وينبت فيها هنا وهناك شجيرات من نوعي الاكاسيا والميموزا الشوكيتين يتعلّق على اغصانها كثير من النباتات المعترشة. امَّا في بعض النقط العالية فترى هذه الاشجار متلاصقة ببعضها والنبات المعرّش مشتبك من شجرة الى اخرى بحيث يصعب على الصيَّاد ان ينفذ بين هذه الادغال. وفي مثل هذه الغابات الافريقيَّة يعيش كثير من الوحوش الضارية والسباع